شرح بداية الحكمة

شرح بداية الحكمة

للعلامة الفيلسوف السيد محمد حسين طباطبائي (قدس سره)

تقريراً لأبحاث العلّامة الأستاذ
السيد كمال حيدري

بقلم
الشيخ خليل رزق

الجزء الأول

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م
978-9953-490-87-8

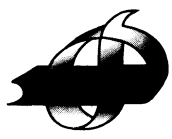

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٥٥٠٤٨٧/ ٠١ - ٨٩٦٣٢٩/ ٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/ ٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

شكر وتقدير

مقدمة تفضّل بها سماحة الأستاذ العلامة آية الله

السيد كمال الحيدري (حفظه المولى)

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

وبعد

يُعَدّ هذا الشرح واحداً من مجموعة دروس ألقيناها في حوزة قم المُقدّسة، وقد حاول تلميذنا الحجّة الفاضل الشيخ خليل رزق العاملي دام عزّه أن يُعدّها ويُخرِجها بصيغة كتاب بعد تدوينها وإبداء الملاحظات الفنّية والتوضيحية عليها ممّا كان له الأثر المفيد في صياغتها بهذه الصورة.

وإنّي إذ أشكر له هذا الجهد الطيّب أدعو الله العلي القدير أن يجعله علماً من أعلام هذه الأمة لخدمة معارف القرآن راجياً أن يواصل الشوط الذي إفتتحه

بهذه الدراسة في ما يزمع به من إنجاز مجموعة من الأبحاث في مجالات مختلفة لا سيما مع ما تعيشه الأمة من تساؤلات في هذا المضمار، أملاً أن تستجيب لبعض تلك المتطلبات الفكرية والعقائدية.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب

كمال الحيدري

١/ ربيع الأول/ ١٤٢٥هـ

والسلام

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على نبيّ الرحمة والهدى محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

لمّا كنت مشتغلاً بدراسة العلوم الدينية في الحوزة العلميّة في مدينة قم المقدسة قادتني العناية الإلهيّة والنعم الربانيّة إلى التشرّف بالحضور بين يديّ سماحة العلامة آية الله السيد كمال الحيدري لأنهل من فيض علمه الواسع وبحر جوده الوافر، والذي انفرد وتميّز من بين الكثيرين في ميادين العلم والمعرفة بمواهبه السنيّة حيث جمع إلى تدريس الفلسفة سائر العلوم كالفقه والأصول وبحوث علم الكلام والتفسير..

وكان من آثار وفيوضات ذلك حضوري في مجالس أبحاثه وشرحه لكتاب «بداية الحكمة» للفيلسوف الإلهي والعارف الربّاني، قدوة المتقدّمين والمتأخرين العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي الذي أسَّس فيه وأشاد مباني الدراسة الفلسفية في الحوزات العلمية من خلال إرثه الكبير المتمثّل بكتابيه «بداية الحكمة» و«نهاية الحكمة» فضلاً عن كتبه المتعدّدة والقيّمة والتي يقف على رأسها تفسيره الموسوم بـ«الميزان في تفسير القرآن».

والكتاب الذي بين يديك أخي القارىء العزيز هو خلاصة أبحاث وشروحات أستاذنا العلاّمة الحيدري على كتاب «بداية الحكمة» وفّقني الله لكي أضعها بين يدي طلاب المعرفة للإستفادة منها في دراستهم، والتي جاءت بعد جهدٍ طويل لم يبخل فيه سيّدنا الأستاذ رغم مشاغله المتعددة بالمراجعة وإبداء الملاحظات. ومن ثمّ التفضّل علينا بالإجازة لإصدار هذا السفر الثمين.

ويشرّفني أن يتناول القرّاء والعلماء الأفاضل هذه المحاولة بالنقد والتحليل وتزويدنا بملاحظاتهم الكريمة لأنني لا أدّعي الكمال في هذا المجال.

وأخيراً..

لا بد من كلمة شكر وتقدير تعجز عن إيفاء صاحب الفضل الكبير حقّه وفضله في إنجاز هذا العمل حيث بذل الجهد العظيم في المراجعة والتحقيق والتدقيق والصياغة وأعني به الأخ العزيز سماحة العلم الحجّة الشيخ حسن بدران العاملي الذي كانت له اليد الطولى والفضل والإمتنان في المساعدة والمراجعة لإخراج هذه الموسوعة إلى حيّز الوجود. فله منّا الشكر الجزيل ومن الله الثواب والأجر العظيم.

الشيخ خليل رزق

المقدمة

في تعريف الفلسفة وموضوعها وغايتها

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

في تعريف الفلسفة وموضوعها وغايتها

الحمد لله، وله الثناء بحقيقته، والصلاة والسلام على رسوله محمّد خير خليقته وآله الطّاهرين من أهل بيته وعترته.

الحكمة الإلهية علم يبحث فيه عن أحوال الموجود بما هو موجود، وموضوعها الذي يبحث فيه عن أعراضه الذاتية هو الموجود بما هو موجود، وغايتها معرفة الموجودات على وجه كلي، وتمييزها مما ليس بموجود حقيقي.

توضيح ذلك: أن الإنسان يجد من نفسه أن لنفسه حقيقة وواقعية، وأن هناك حقيقة وواقعية وراء نفسه، وأنّ له أن يصيبها، فلا يطلب شيئا من الأشياء ولا يقصده إلا من جهة أنه هو ذلك الشيء في الواقع، ولا يهرب من شيء ولا يندفع عنه إلا لكونه هو ذلك الشيء في الحقيقة. فالطفل الذي يطلب الضرع مثلا إنما يطلب ما هو بحسب الواقع لبن لا ما هو بحسب التوهم والحسبان كذلك، والإنسان الذي يهرب من سبع إنما يهرب مما هو بحسب الحقيقة سبع لا بحسب التوهم والخرافة.

لكنه ربما أخطأ في نظره فرأى ما ليس بحق حقّاً واقعاً في الخارج كالبخت والغول، أو أعتقد ما هو حق واقع في الخارج باطلا خرافياً كالنفس المجردة والعقل المجرّد، فمسّت الحاجة بادئ بدء إلى معرفة أحوال الموجود بما هو موجود الخاصة به؛ ليميز بها ما هو موجود في الواقع مما ليس كذلك، والعلم الباحث عنها هو الحكمة الإلهية.

فالحكمة الإلهية هي العلم الباحث عن أحوال الموجود بما هو موجود، ويسمى أيضا الفلسفة الأولى والعلم الأعلى. وموضوعه: الموجود بما هو موجود. وغايته تمييز الموجودات الحقيقية عن غيرها، ومعرفة العلل العالية للوجود وبالأخص العلة الأولى التي إليها تنتهي سلسلة الموجودات وأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وهو الله عز اسمه.

شرح المطالب

قبل الشروع في المسائل الفلسفية، مهّد المصنف ببيان مقدمة تشتمل على تعريف الفلسفة وموضوعها وغايتها. وقبل التعرض لتعريف الفلسفة، ينبغي التنبّه إلى أن لكلمة «الفلسفة» اصطلاحات عديدة، وهي تطلق على معان مختلفة[١]، لذلك ينبغي تشخيص الإصطلاح المراد بحثه وتعريفه هنا من بين اصطلاحات الفلسفة الأخرى.

تطلق الفلسفة ويراد بها ما يرادف معنى «الحكمة»، والحكمة في الإصطلاح القديم تشمل جميع العلوم البشرية[٢]، ومن هنا قسّم الأوائل الحكمة إلى قسمين: حكمة نظرية يطلب بها العلم، وحكمة عملية يطلب بها العمل. وتستهدف الحكمة النظرية دراسة علوم الإلهيات، والرياضيات، والطبيعيات. فيما تعكف الحكمة العملية على دراسة علم الأخلاق، وتدبير المنزل، وسياسة المدن.

---

(١) لكلمة «الفلسفة» اصطلاحات متعددة: فقد تطلق الفلسفة ويراد بها جميع العلوم الحقيقية فقط. وقد تطلق ويراد بها العلوم الحقيقية إضافة إلى بعض العلوم الاعتبارية كالآداب والمعاني والبيان. وقد تطلق ويراد بها العلوم غير التجريبية كالمنطق ونظرية المعرفة والإلهيات وعلم النفس غير التجريبي وعلم الجمال والأخلاق والسياسة.. وذلك في مقابل العلوم التجريبية. وقد تطلق ويراد بها خصوص الفلسفة الأولى أو الميتافيزيقا. وبالإضافة إلى هذه الإصطلاحات هناك ما يسمى بـ«الفلسفة العلمية» و«فلسفة العلم» وغيرها من فلسفات تندرج تحت عنوان «الفلسفات المضافة»، وبهذا يتضح ضرورة تشخيص الإصطلاح المراد تعريفه في هذا المبحث. للتوسع انظر: المنهج الجديد ص ٥٥، ٥٦.

(٢) الفلسفة بالإصطلاح القديم تشمل جميع العلوم الحقيقية والعقلية في مقابل العلوم الاعتبارية والوضعية. انظر: المنهج الجديد للمصباح اليزدي ج١ ص ١٧. وانظر أيضا: كراس بعنوان «الفلسفة» لمرتضى مطهري ص١٤.

١ . يبحث في الإلهيات[١] ـ من الحكمة النظرية ـ عن الموجود المطلق وأحكامه، أي عن أحوال الموجود بما هو موجود والمنزه عن أي قيد، وموضوع الفلسفة على هذا هو الموجود المطلق. وذلك في مقابل الطبيعيات والرياضيات، إذ الموضوع لكل من هذين العلمين هو قسم خاص من أقسام الموجود وحصة معينة منه، وهو الموجود المقيد. ففي الرياضيات يقع البحث عن العدد وهو أحد أقسام الموجودات، وفي الطبيعيات يبحث عن الجسم وهو أيضا قسم خاص من الوجود، وموضوعهما هو الوجود الخاص.

ولقائل أن يقول: إن البحث في الموجود المطلق لا يختص بالموجود الواجب الوجود، بل يشمل أيضا الموجود الممكن الوجود، وحيث أن البحث في الإلهيات يرتبط بالواجب الوجود، فلا وجه لتسمية العلم الباحث في الموجود المطلق بالإلهيات حينئذ.

ويجاب عن ذلك بأن الوجود إنما يثبت لواجب الوجود أولا وبالذات، وبتوسط الذات الواجبة يثبت الوجود للممكنات ثانيا وبالعرض، فوجود الله تعالى وجود بالذات ووجود الممكنات وجود بالغير، ومن هنا يتّضح أن تسمية هذا العلم بالإلهيات هو من باب تسمية الكل باسم أشرف أجزائه.

وعليه، فالبحث الفلسفي لا يقتصر في مجالاته على إثبات ذات الله تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله ونحو ذلك مما يندرج في مباحث الإلهيات بالمعنى الأخص، وان كان البحث في المجال المذكور يعد من المقاصد التي تحظى بأهمية بالغة في الفلسفة. وإنما يتسع البحث في الفلسفة ليشمل مسائل

(١) يستعمل مصطلح «الإلهيات» بمعنيين: الإلهيات بالمعنى الأعم وهو العلم الباحث عن أحوال الموجود المطلق، ولا يختص بالواجب الوجود حينئذ. والإلهيات بالمعنى الأخص وهو العلم الباحث في ذات الواجب وصفاته وأسمائه أي بمباحث الربوبية وهو يختص بالواجب الوجود. والمقصود من العبارة في المتن الإلهيات بالمعنى الأعم.

الوجود العامة، وهي أعم من مباحث الإلهيات بالمعنى الأخص، وبهذا المعنى الوسيع تسمى الفلسفة عند القدماء بالفلسفة العليا، وذلك في مقابل الفلسفة الوسطى التي تعني الرياضيات، والفلسفة السفلى التي تعني الطبيعيات.

وتسمى الفلسفة أيضا بأم العلوم نظرا لحاجة سائر العلوم إلى الفلسفة في إثبات موضوعاتها، واستغناء الفلسفة عن سائر العلوم كذلك.

فالباحث في العلم الطبيعي لا يتعرض بالبحث لوجود الجسم أو عدم وجوده، بل ينصرف عنه إلى البحث عن أحوال الجسم وعوارضه من الحركة والسكون ونحو ذلك، ويوكل البحث في وجود الجسم إلى الفيلسوف الذي تقع على عاتقه عهدة إثبات الموضوع للعلم الطبيعي[١].

والباحث في علم الأخلاق يعتبر أن وجود النفس أمر مفروغ منه، فلا يبحث في أنها موجودة أو غير موجودة، بل ينصرف عن ذلك للبحث في أحوال النفس وكيفية تهذيبها وما الذي يصل بها إلى كمالها المطلوب وما الذي يؤدي بها إلى التسافل. ويترك للفيلسوف مهمة البحث في إثبات وجود النفس، وتجردها، وبساطتها، ونحو ذلك من أحوال وجودها.

ولهذا وغيره فقد أطلقوا على الفلسفة اسم «الفلسفة الأولى»[٢] و«أم العلوم» ونحو ذلك من تسميات يراد بها الإشارة إلى الإلهيات بالمعنى الأعم.

٢. تسمى مباحث الرياضيات ـ من الحكمة النظرية ـ بالفلسفة الوسطى، وذلك لأن موضوع الرياضيات (وهو العدد) موجود مجرد، ومعروضه قد يكون ماديا. فالعدد موجود مجرد والمعدود يمكن أن يكون موجودا ماديا. وهذا

(١) بل كيف يمكن للعلوم الطبيعية التي تتبع المنهج التجريبي في أسلوب دراستها ان تقوم بإثبات وجود موضوعاتها والحال انه لا يتيسر لها ذلك الا من خلال اتباع الأسلوب التعقلي الفلسفي؟! انظر: المنهج الجديد، مصدر سابق، ص ١١٠.

(٢) تسمى «الفلسفة الأولى» لأنها تبحث عن الوجود وهو أول مفهوم في الذهن، وعن تقسيماته الأولية.

بخلاف موضوع الفلسفة الذي لا يرتبط بالموجود المادي، بل يبحث في الموجود بما هو موجود. والرياضيات أقرب إلى الإلهيات منها إلى الطبيعيات، ولهذا تسمى بالفلسفة الوسطى.

٣. يبحث في الطبيعيات ـ من الحكمة النظرية ـ عن الأمور المادية [بنحو كلي]، وتحديدا عن عوارض وأحوال الجسم، ولهذا يكون البحث في الطبيعي بحثاً عن أخس العوالم في مقابل البحث عن المجردات التي هي أشرف العوالم.

وبحسب تعبير السبزواري[١] في كتابه المعروف باسم «شرح المنظومة»[٢] فإن نسبة العالم الطبيعي إلى مجموعة العوالم الإمكانية كنسبة حجر المثانة في الإنسان إلى سائر الأعضاء[٣].

٤. يرتبط البحث في علم الأخلاق ـ من الحكمة العملية ـ بسلوك الفرد، وليس بسلوك الأسرة أو المجتمع.

٥. البحث في تدبير المنزل ـ من الحكمة العملية ـ.

---

(١) الفيلسوف هادي بن مهدي السبزواري المولود عام ١٢١٢ هـ والمتوفى عام ١٢٩٥ هـ من فلاسفة القرن الثالث عشر الهجري المرموقين. قصد اصفهان وخراسان ومشهد حيث تلقى العلوم العقلية والنقلية على جماعة منهم الاخوند ملا إسماعيل، والمولى علي النووي والشيخ احمد الاحسائي.. وانشأ في سبزوار دار علم تخرج منها عدد كبير من المتضلعين بالفلسفة والحكمة والمنطق.

(٢) ارجوزة في الفلسفة والحكمة ألفها السبزواري وشرحها بنفسه شرحا وجيزا وأطلق عليها «غرر الفوائد»، الا أنها عرفت بعد ذلك باسم المنظومة. وتعد منظومة السبزواري من المصادر الفلسفية المشهورة لما جمعته من أصول الحكمة، وقد حظيت باهتمام العلماء وعنايتهم شرحا وتعليقا وتدريسا، وعكف طلاب الفلسفة على درسها في كثير من المعاهد العليا الإسلامية كالنجف وقم وطهران.

(٣) قال في شرح المنظومة ج٣ ص٥٢٤: «جعل القوم أي الحكماء الاقدمون أولو الفطانة عناصرا في الإنسان الكبير كحجر المثانة في الإنسان الصغير». وقال في المصدر نفسه ص ٥٢٦: «وكون العناصر والعنصريات بمنزلة حجر المثانة باعتبار حقارتها وتفاسدها.. الخ». وهذا التشبيه مستفاد من تعبير للشيخ الرئيس في كتابه المبدأ والمعاد.

٦. البحث في سياسة المدن وإدارتها ـ من الحكمة العملية ـ.

ومن الواضح أن علم الفقه هو الذي يحدد ضوابط علم الأخلاق وتدبير المنزل وسياسة المدن، وذلك من خلال تعيين الحكم الشرعي لكل حادثة وواقعة.

موضوع الفلسفة

إلى هنا يتضح أن الفلسفة بالإصطلاح الأول كانت تضم في جعبتها كافة العلوم البشرية، فهل المقصود بالبحث الفلسفي هنا هذا المعنى العام للفلسفة؟

لا شك أن الكتب الفلسفية القديمة قد صنفت عموماً على أساس الطابع الموسوعي المتقدم، وذلك من قبيل كتاب «الشفاء» للشيخ الرئيس[١] الذي احتوى في طياته على مباحث الحكمة النظرية كالإلهيات والرياضيات والطبيعيات ومباحث الحكمة العملية كالأخلاق..

ومنذ تدوين كتاب «الأسفار» لصدر المتألهين الشيرازي[٢] اقتصرت

---

(١) هو الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن سينا ولد حوالي (٣٧٠ ـ ٩٧٩ م) وتوفي سنة (٤٢٨ ـ ١٠٣٧ م). من اشهر فلاسفة الإسلام وأعلاهم شأنا، وهو إلى ذلك طبيب نابغة ومنطقي كبير ورياضي وفلكي وشاعر وسياسي.. إلا أنه اشتهر بأنه صاحب مدرسة فلسفية لا تجارى في عمقها ومتانة أسلوبها. ترك ما يقرب من ١٨٠ مؤلفا في مختلف المجالات وبعضها موسوعي الطابع، أودع فيها الكثير من النظريات والاكتشافات التي لم يسبق إليها كتاب أو قلم. وكتاب «الشفاء» يقع في ثمانية وعشرين مجلدا ويحتوي على فصول في المنطق والطبيعيات وما بعد الطبيعة أو الإلهيات والرياضيات. ويعتبر هذا الكتاب بالإضافة إلى كتاب الأسفار لملا صدرا الشيرازي اكبر كتابين موسوعيين في تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي.

(٢) صدر الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الشيرازي المعروف (بالملا صدرا) و(بصدر المتألهين) توفي عام ١٠٥٠ هـ. هو أعظم فيلسوف إسلامي ظهر في القرن الحادي عشر للهجرة، وصف بأنه المدرس الأول للفلسفة الإلهية في القرون الأخيرة الثلاثة في البلاد الإسلامية الامامية والوارث الأخير للفلسفة اليونانية والإسلامية والشارح لهما والمفسر لاسرارهما، قصد اصفهان للدراسة ودرس فيها على الشيخ البهائي العاملي والسيد الداماد. من اشهر تلامذته الفيض الكاشاني والفياض اللاهيجي. ويعتبر كتابه الأسفار الشحنة المتألقة بكل ما عنده من أفكار وآراء فلسفية. وفيه قال الحكيم الأصولي العلامة الشيخ محمد حسين الاصفهاني: «لو أعلم أحدا يفهم أسرار (الأسفار) لشددت الرحال للتلمذة عليه وان كان في أقصى الديار».

الكتب الفلسفية على البحث في القسم الأول من الحكمة النظرية، أي البحث في الإلهيات بالمعنى الأعم [والمعنى الأخص]، وذلك باعتبار أن العلوم الأخرى قد استقل كل علم منها بالبحث في مجال خاص به. وباستثناء كتاب «المنظومة» للحكيم هادي السبزواري والذي احتوى على مباحث الإلهيات والطبيعيات والأخلاق، فقد تم تدوين المسائل الفلسفية على غرار كتاب «الأسفار»، كما في كتاب «بداية الحكمة» وكتاب «نهاية الحكمة»[١] للمصنف[٢] وغيرهما من كتب.

وبذلك يتضح أن مؤلّف «بداية الحكمة» يريد باصطلاح الفلسفة في هذا الكتاب خصوص القسم الأول من علوم الحكمة النظرية، وهو الإلهيات بمعنييها الأعم والأخص، وهذا الإصطلاح اخص بكثير من الإصطلاح الأول المتقدم، وبالتالي تنقسم مباحث الكتاب إلى قسمين رئيسين:

١. الإلهيات بالمعنى الأعم، ويبحث هذا القسم في أحكام الوجود المطلق.

٢. الإلهيات بالمعنى الأخص، ويبحث هذا القسم في إثبات وجود الله وصفاته وأفعاله وغير ذلك مما يندرج في مباحث الربوبية.

---

(١) هذان الكتابان يحويان أمهات المطالب في الفلسفة الإسلامية، حيث قام المصنف بتنقيح أبحاث المنظومة في كتاب بداية الحكمة، واختصر الأبحاث المهمة للأسفار في كتاب نهاية الحكمة. والكتاب الأخير هو حصيلة الدروس الفلسفية التي كان يلقيها سماحته على بعض الأفاضل ليلتي الخميس والجمعة من كل أسبوع، وذلك بدرجة بحث الخارج في الفلسفة. وقد وصلت مسائل الفلسفة الإسلامية إلى حدود السبعمائة مسألة بعد أن لم تكن تعدو في الفلسفة اليونانية عن مائتين مسألة تقريبا. فلم تكن المسائل منقّحة بهذا الشكل، كما لم تكن قد وصلت إلى هذا المستوى من الرشد والنضوج الذي بلغته في الفكر الإسلامي (ح).

(٢) محمد حسين بن محمد الطباطبائي ولد في ٢٩ ذي القعدة ١٣٢١ هـ. هاجر إلى النجف ثم إلى قم حيث توفي في ١٨ محرم ١٤٠٢ هـ جمع بين علوم المنقول والمعقول وتبحر في فهم وتفسير القرآن الكريم كل هذا مضافا إلى فقاهته وأصوليته الحوزوية. أعجب بابن سينا وصدر الدين الشيرازي فأكب على مؤلفاتهما ـ سيما الأخير ـ دارسا وشارحا ومدققا ومدرّسا، وواجه بعض الضغوط نتيجة اهتمامه الفلسفي هذا. له مؤلفات عديدة في المجال الفلسفي وغيره، منها كتاب «بداية الحكمة» الذي نحن بصدده.

وبهذا يتبيّن أن موضوع[١] الفلسفة هو الموجود بما هو موجود (الموجود المطلق)، والقيد (بما هو موجود) إشارة إلى الجهة التي تشترك فيها الموجودات، وهي الوجود. وأما الخصوصيات الفردية للموجودات من كم وكيف.. فلا تندرج في موضوع الفلسفة، وبهذا يتضح أن الموجودات تشترك في اصل الوجود وتختلف بحسب الخصوصيات الشخصية، وان المبحوث عنه في الفلسفة هو ذلك الشيء المشترك بين الموجودات جميعا، وعبارة (الموجود بما هو موجود) للإشارة إلى هذه الحيثية المشتركة، فلا يبحث في الفلسفة عن الموجودات بجهاتها المختصة وخصوصياتها الفردية، وإنما يبحث عن الموجود بما هو موجود أي بجهته المشتركة. فالموجود بما هو موجود هو الوجود نفسه كما يشير «بهمنيار»[٢] في كتاب «التحصيل»[٣]. وموضوع الفلسفة على هذا هو الوجود، أو الموجود (المقيد بـ) بما هو موجود.

تعريف الفلسفة

وبما تقدم يتضح أن الفلسفة[٤] هي العلم الباحث عن أحوال الموجود

---

(١) أفاد المصنف في متن البداية ان موضوع العلم هو الذي يبحث فيه عن أعراضه الذاتية. وأفاد في تعليقته على الأسفار (١ : ٣١) أن العرض الذاتي ما يؤخذ في حدّه الموضوع، أو يؤخذ هو في حدّ الموضوع، ولا يعرض موضوعه بواسطة أصلا، سواء كانت متساوية أو أعم أو أخص، ويجب أن يكون مساويا لموضوعه لا أعم منه. انظر: بداية الحكمة، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ص ٥ ـ ٦ الحاشية.

(٢) أبو الحسن بهمنيار بن المرزبان توفي حوالي (٤٣٠ ـ ١٠٣٨ م) واصله من أذربيجان وكان مجوسيا قليل العلم بالعربية.. وأسلم. فيلسوف مشهور، تلميذ ابن سينا، له رسائل فلسفية وآراء خاصة يخالف فيها بعض نظريات أستاذه ابن سينا، من مؤلفاته كتاب «التحصيل» جعل هذا الكتاب على ثلاثة أقسام الأول في المنطق والثاني علم ما بعد الطبيعة والثالث مباحث الربوبية والطبيعيات والنفس والمعاد.

(٣) قال في مطلع مباحث علم ما بعد الطبيعة من التحصيل: «قد عرفت ان موضوع هذا العلم هو الأمر العام لجميع الأمور، وهو الموجود بما هو موجود أعني الوجود». انظر: التحصيل، نشر انتشارات دانشكاه تهران، ص ٢٧٩.

(٤) تعبير المصنف في متن البداية هو «الحكمة الإلهية» بدل «الفلسفة».

بما هو موجود، فالفلسفة تبحث عن الأحوال والأعراض التي تعرض الوجود المطلق وتحمل عليه بلا توسط شيء، وهذه الأحوال والأعراض من قبيل قولنا: الموجود إما خارجي وإما ذهني. والموجود إما علة وإما معلول. والموجود إما واجب وإما ممكن، فالوجوب والإمكان يعرضان على نفس الوجود بلا توسط شيء آخر في البين. بخلاف قولنا: الموجود إما حار أو بارد، فالحرارة والبرودة يعرضان على الموجود بتوسط الجسم، لأنهما من أوصاف الجسم أولا وبالذات. فلا يتصف بهما الموجود بما هو موجود إلا بتوسط الجسم، وإلا فإن عالم المجردات مثلا لا يتصف بالحرارة والبرودة مع انه احد الموجودات. وهذا معنى أنهما ليسا من الأعراض الذاتية للوجود، وإنما هما أعراض تحتاج إلى وسط لكي تعرض الوجود، وبذلك يتضح خروجهما عن مباحث الفلسفة.

وهكذا الأمر في مثل القضية القائلة «الموجود إما طويل أو قصير»، فلا يمكن إدراج الطول والقصر في المسائل الفلسفية لأنهما ليسا من أحوال الوجود الأولية، وإنما هما من أحوال الكميات كالخط. وعليه فلا بد للموجود من أن يتقيد بقيد الكمية حتى يصح حمل الطول والقصر عليه فيقال: الموجود المتكمم إما طويل وإما قصير. فالمسائل التي يصح إدراجها في الفلسفة هي التي تحكي الأحوال الأولية والأعراض الذاتية للموجود بما هو موجود فحسب.

الغاية من الفلسفة

الغاية المتوخاة من الفلسفة هي معرفة الموجودات على وجه كلي، ومعرفة العلل العالية للوجود ـ وبالأخص العلة الأولى ـ، وتمييز الموجودات الحقيقية عن الإعتباريات والوهميات.

أما معرفة الموجودات على وجه كلي فهو بحث الإلهيات بالمعنى الأعم، وأما معرفة العلل العالية والعلة الأولى فهو بحث الإلهيات بالمعنى